

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

٢ - مرحلة الكفاح وبداية الظفر

للأستاذ محمد عبد الله عنان

لم يشهد التاريخ الحديث ثورة ضئيلة في نشأتها، عظيمة شاملة في نتائجها كالثورة الوطنية الاشتراكية الالمانية؛ فان تلك الجماعة المغمورة التي قامت في ميونيخ باسم حزب العمال الوطني الاشتراكي بزعماء ادولف هتلر والتي لم تتجاوز السبعة، كانت أول حجر في صرح الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية التي اخذت تغمر المانيا لأعوام قلائل من ظهورها، والتي توجه اليوم مصائر الشعب الالمانى .

قامت هذه الجماعة في ميونيخ سنة ١٩١٩ على نحو مايتناو انتظم فيها الضابط الصغير والبناء القسوى السابق ادولف هتلر، ليتولى بعد قليل زعامتها وتنظيمها، فإذا كانت ترجو وعلام كانت تعتمد؟ من الصعب أن نعتقد أن هذه الزمرة من رجال لا ماضى لهم ولا عصب، وليست لهم أية كفايات خاصة، كانت يوم انتظامها تؤمل أن تقوز في ميدان الكفاح السياسى بتلك السرعة المدهشة، لتفرض برنامجها بد ذلك على الشعب الالمانى كله . ولكن الذى لا ريب فيه أن ظروف المانيا عقب الحرب الكبرى، وما سرى اليها من عوامل الانحلال واليأس والفوضى، كانت تفسح مجالا للظهور والمقامرة؛ وكانت أية دعوة إلى الخلاص والنهوض والامل تلقى في هذه الفهار المظلمة قبولا . وقد كانت الحركة الوطنية المحافظة التي كانت ميونيخ مهدا لها، تتخذ شعارها العمل على انقاذ المانيا من ويلات الهزيمة، ومن برائن الفوضى الاشتراكية الشيوعية؛ فكانت عصبته هتلر تحمل لواء هذه الدعوة، وتعمل في جو من العطف الذى يتمتع به ابان اليأس العام كل من التقي كلمة الخلاص والامل .

وفي هذا الجو استطاع هتلر أن ينظم حزبه وأن يجمع له الانصار . وكانت المهمة شاقة، ولكن هتلرا استطاع بكثير من العزم والمثابرة والجلد أن يحول عصبته الصغيرة إلى حزب سياسى هو : حزب العمال الوطنى الاشتراكي الالمانى . ووضعت مبادئ الحزب الاساسية في فبراير سنة ١٩٢٠ في ميثاق وطنى يتألف من خمس

وعشرين مادة ترمى الى اغراض خمسة : الاول، الاستيلاء على الحكم والسلطة . والثاني « سحق الحركة الماركسية (الاشتراكية الشيوعية) » الثالث « صيغ المانيا كلها بالصبغة الوطنية الاشتراكية . » الرابع « تحقيق وحدة الشعوب الجرمانية (المتكلمة بالالمانية) . » الخامس « تنقية الجنس الالمانى وتطهيره من كل شخص يجرى في عروقه دم يهودى أو دم آخر غير آرى . ولهذا الغاية الأخيرة التي صيغت في المادة الرابعة (١) من الميثاق، أهمية خاصة؛ لان فكرة الايتار الجنسى لم تبد من قبل في برنامج أى حزب من الاحزاب السياسية يمثل هذه الصراحة؛ وسرى انها غدت منذ استيلاء الحزب الوطنى الاشتراكي على السلطة من أخطر المشاكل الاجتماعية والسياسية التي تواجهها المانيا، والتي مازالت تعاني من جرائها كثيرا من المتاعب والصعاب .

سار الحزب الوطنى الاشتراكي الجديد في طريق التقدم بسرعة، ولقى برنامجا كثيرا من العطف والتأييد؛ والتي في حوادث سنة ١٩٢٣ (مثل نكبة العملة واحتلال الروهر) وما يشه في المانيا من البؤس واليأس مهادا خصبة لدعوته، وبلغ اعضاؤه يومئذ نحو الفين . وأيده جماعة كبيرة من القادة والضباط القدماء وعلى رأسهم الجنرال لودندورف؛ وأيده كثير من رجال المال والصناعة الذين خشوا عواقب تقدم الحركة الشيوعية ولم يدخروا وسعا في مقاومتها؛ وأخذ هتلر يجمع الانصار حول عله ذى الصليب المذهب (سفاستكا) وانشأ لحزبه قوة شبه عسكرية لتحفظ النظام أثناء الاجتماعات وغيرها من المناسبات وهي التي غدت فيما بعد جناح الهجوم الشهير Sturm Abteilung؛ وانشأ حرسا من خاصة أعوانه وانصاره لحمايته وحماية زعماء حزبه . هو المعروف بفرقة الحماية Schutz Staffel . وبذا اتخذ الحرس الوطنى الاشتراكي لونا عسكريا قويا؛ والتي هتار في هذا الوقت نفسه (ربيع سنة ١٩٢٣) في حوادث بافاريا فرصة للقيام بأول محاولة عنيفة . وكانت بافاريا تضطرم يومئذ بحركة رجعية قوية ترمى الى اسقاط حكومة برلين

(١) وهذا هو نصها : « لا يحق لنير أعضاء الامة ان يكونوا مواطنين في الدولة . ولا يحق لنير أولئك الذين يتبعون من دم الماني، مهما كان منهم ، أن يكونوا أعضاء في الامة . وانذ فليس لاي يهودي ان يكون عضوا في الامة ،

الجمهورية وإعادة الملكية في بافاريا ، على رأسها فون كار رئيس وزارة بافاريا السابق والجنرال فون لوسوف مبعوث الريخ ، الحكومة برلين - العسكري والكولونل سايزر مدير البوليس . فتفاهم زعماء هذه الحركة مع الجبهة الوطنية الاشتراكية التي يتزعمها هتلر ولودندورف لان الحركتين ترميان الى غرض واحد ؛ واتفق السريتان على ان ينظما الزحف على برلين واسقاط الحكومة ؛ ولكن فون كار تخلى عن الوطنيين الاشتراكيين في آخر لحظة ، ونظم هتلر واصدقاؤه الحركة وحدهم ، وبدأ الثورة بأن أطلق رصاص مسدسه على سقف محل للبيرة في ميونيخ في اجتماع حافل ، وأعلن ان الثورة الوطنية قد بدأت ضد حكومة برلين اليهودية . ولكن السلطات البافارية كانت على أهبة ؛ قتل عدة من رجال النازي ، وجرح الكثيرين جبرنج أخض اصداقه . هتلر وساعده الايمن ولكنه حمل خلسة الى ايطاليا ؛ وقبض على هتلر ولودندورف . وصدر قرار بحل الحزب الوطني الاشتراكي ومنع اجتماعاته - نوفمبر سنة ١٩٢٣ . - وبري لودندورف ولكن هتلر قضى عليه بالسجن في قلعة لحسة أعوام - أبريل سنة ١٩٢٤ . - وزج الى قلعة لانجسبرج فبقي فيها ثمانية أشهر كتب أثناءها كتابه المعروف « جهادي ، Mein Kampf » وفيه يقص حياته ويشرح مبادئ الحركة الوطنية الاشتراكية وغايتها ويرد على خصومه اليهود . وهو مؤلف لا طرفة فيه ولا قوة ، ولا ينم عن مواهب فكرية أو أدبية بمنازة ، يد أنه ينم عما تضطرم به نفس هتلر من عزم وجلد . ثم أفرج عنه . وكان حزبه قد تفرق ؛ ولكنه عاد الى جمعه وتنظيمه بنفس عزمه وهمة ، وظهر يومئذ في الجماهير بمقدرة الخطابية وذاقة وقوة تأثيره . وكان هذا التأين وما زال اعظم خواصه ومواهبه . وكان يعمل عمله في صفوف الشباب بنوع خاص ، اذ كان هذا الشباب الطامح يعاقب من صنوف الشقاء واليأس والناقة أشد ، ويتطلع دائما بحماسة ولهفة الى طريق الخلاص المنشود .

وظهر تقدم الدعوة الوطنية الاشتراكية واضحا في انتخابات مايو سنة ١٩٢٤ ، اذ نال حزب هتلر نحو مليوني صوت تخزله في الريمختاج ٣٢ كرسي . ثم قتر هذا التقدم خلال الاعوام التالية ، أولا لتحسن الاحوال الداخلية ولاسيما الحالة الاقتصادية وانتعاش الآمال نوعا ، وثانيا لابتن الحكومات الجبوتالية اخذت تشدد في مقاومة الحركة لما رأت من تقدمها وخطورتها . يد أن الحزب

الوطني الاشتراكي استمر في كفافحه ، وعادت دعوته بعد وفاة شتريزمان وانهار سياسة الوفاق واضطراب حكومة برلين من جراء ذلك ، تسرى في الجموع بسرعة ، حتى بلغ أعضاؤه في سنة ١٩٣١ ، أربعمئة ألف ؛ ونال في انتخابات ديسمبر سنة ١٩٣٠ نحو ستة ملايين ونصف مليون صوت تخزله في الريمختاج ١٠٧ كرسي ؛ ووصل ذروة ظفره في انتخابات يولية سنة ١٩٣٢ حيث نال نحو أربعة عشر مليون صوت تخزله ٢٣٠ كرسي ، وهو ما يقرب من خمسي اعضاء الريمختاج ، وأضحى بذلك أقوى الاحزاب البرلمانية ، وقوى أملا في اقتراع الحكم . ورشح هتلر نفسه في ذلك الحين لانتخاب رئاسة الجمهورية ضد المارشال هندنبورج فلم يفز المارشال امام منافسه القوى الا في الدورة الثانية . وبذلك حكومة فون بابن القائمة رتتة . وردا عنيفة لوقف تيار الحركة الوطنية الاشتراكية ، وحلت الريمختاج واجرت انتخابات جديدة في نوفمبر سنة ١٩٣٢ ، فنال الوطنيون الاشتراكيون فيها مع ذلك ١٩٦ كرسي . وأضحى الرئيس هندنبورج وحكومة برلين أمام الامر الواقع ؛ وأضحى واضحا انه لا يمكن لاية قوة أن تقف في وجه هذا التيار الجارف ، وان الوسائل المصطنعة لا تجدي في مقاومته ، وأن السلطة صائرة اليه بلا ريب . وكان الرئيس هندنبورج قد دعا هر هتلر عقب انتخابات يولية ليفاوضه في امكان اشتراكه في الحكم ، ولكن هر هتلر أصر على تولي السلطة كاملة غير منقوصة . وهذا ما أباه الرئيس هندنبورج مدى حين . وكان المارشال يدي في الواقع ترددا في الثقة بالوطنيين الاشتراكيين ويخشى وجودهم في الحكم وقد ظهر ذلك واضحا في موافقته على حل البرلمان أكثر من مرة خلال أشهر قلائل ، وفي تفويضه للرفون بابن ثم من بعده للجنرال فون شليخر ، أن يتدفع بالسلطة المطلقة وأن يحكم بمقتضى قوانين الطوارئ ، وذلك لأن أحدا منهما لم يتسع ثقة الريمختاج ، ومع ذلك فانه لم يمس على انتخاب البرلمان الجديد شهران حتى كانت حكومة فون شليخر في دور النزاع وحتى كانت الرئيس الشيخ يفاوض هتلر في تولي الحكم . وقد كان التطور الفجائي في موقف المارشال واستشاريه مثار دهشة عامة ، خصوصا اذا ذكرنا ان الحزب الوطني الاشتراكي لم يكن يومئذ في ذروة قوته ، ولم تكن له في البرلمان سوى أقلية ، وكانت قد نصبت موارده وخبث قواه . ومن الغريب أن يكون رجل هذا التطور ومديره فون بابن الذي لم يدخر أثناء حكمته وسعافى من هتلر وحزبه

وقد فر هذا التطور يومئذ بان استدعاء هتلر الى الحكم لم يكن الا وسيلة لتعطيم نفوذه وتمزيق حزبه ، وان هذا الاضطلاع باعباء الحكم ومسئوليائه سيصره ويكشف عن ضعفه ، وانه من جهة أخرى لن يتمتع بالسلطة كاملة ، وستخذ الضمانات الكفيلة بكبح جماحه ومنعه من اطلاق العنان لمشاريعه المتطرفة التي كانت تعتبر يومئذ خطرة على مستقبل البانيا ومصالحها ومركزها الدولي . وعلى أي حال فقد وقع الانقلاب الحاسم أخيراً ، وعهد المارشال هندنبورج الى المهر أدولف هتلر بتولى رئاسة الحكم في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ ودخل الوزارة معه من أقطاب حزبه الكتبتن جبرنج وزيراً للداخلية . ولكن أعطيت وكالة الرئاسة ورئاسة وزارة بروسيا للهرفون باين ، ووزارة المالية لرئيس الحزب الوطني المهر هوجنبرج ، ووزارة الخارجية للبارون فون نيررات ووزارة الدفاع لقائد مسؤول بسيرة لدى الرئيس هندنبورج ، وبهذا أعطيت السلطات الهامة لرجال يتق المارشال بفضلتهم واتزانهم وحسن تقديرهم

على ان هذه الضمانات التي اريد ان يحاط بها حكم الوطنيين الاشتراكيين كانت نظرية ، وكان هرتلر بالعكس يعتقد ان هذه الخطوة انما هي تحقيق للشار الاول من برنامجه ، وهو الاستيلاء على السلطة ؛ ويجب ان يكون هذا الاستيلاء عملياً كاملاً . وسرعان ما تدفق تيار الوطنية الاشتراكية منذ المساء الذي تقلد فيه الزعيم Fuhrer «أى هتلر» رئاسة الحكم ، وهرعت فرق الهجوم ذوى الارادية السمرآ آلافا مؤلفة تحمي الزعيم في مكتب الرئاسة وتهتف له حتى منتصف الليل . ومنذ تلك الليلة ظهر الحزب الاشتراكي في ذروة قوته ، وشعر زعماء المانيا السابقين وشعر الشعب الالمانى كله بان عهداً جديداً سيفتح . ثم توالى الحوادث بسرعة فوقع حريق الريخستاج في ٢٧ فبراير ؛ وكان الريخستاج قد حل مرة أخرى لان هتلر لم يتق بمجلس ليست له فيه اقلية قوية ، ولم يرد ان يبقى تحت رحمة حلفائه اعضاء الحزب الوطني وحزب الوسط الكاثوليكي ؛ وتحدد للانتخابات الجديدة يوم ٥ مارس فوقع حريق الريخستاج قبله بأيام قلائل ، ونسبت الحكومة الجريمة الى الشيوعيين واتخذتها ذريعة لسحق كتلة اليسار اعني الديموقراطيين والشيوعيين فقبضت على زعمائهم وصادرت مراكزهم واموالهم وطاردتهم بمتهى العنف والشدة ؛ وصرح المهر هتلر وزملاؤه يومئذ بان لديهم الادلة الحاسمة على ان الجريمة انما هي يد فقط لثورة دموية مخربة رئاسة النطاق يدبرها الشيوعيون ذات الحكومة . ولكن

حريق الريخستاج لبث مع ذلك حادثاً غامضاً مريباً ولم يقتنع الرأي الخارجى بهذه التاكيدات ؛ ووجهت بشأنه شكوك وتهم خطيرة الى الحزب الوطنى الاشتراكي ذاته (١) وعلى أى حال فقد ساعد هذا الحادث على ظفر الهتلريين في الانتخابات فخرجوا بأقلية قوية وفاز الديموقراطيون مع ذلك بنحو مائة وثلاثين كرسي والشيوعيون بنحو ثمانين . عقد الريخستاج الجديد في ٢٣ مارس ؛ ولم يشهد النواب الديموقراطيون والشيوعيون لانهم كانوا جميعاً في السجن او في المنفى ، وفي هذه الجلسة حصل المهر هتلر على تفويض بالحكم المطلق والتشريع لمدة اربعة أعوام ، ولم يبق له حاجة بعد ذلك الى موافقة الرئيس هندنبورج أو توقيعه ، وتحققت بذلك الدكتاتورية المطلقة التي يشدها الحزب الوطنى الاشتراكي ، ولم يمض سوى قليل حتى ائترع هتلر الرأى الذي كانت يد حلفائه وشغلها بأصدقائه ومعاونيه ، وتوارى جميع الزعماء والقادة الآخرين من الميدان ؛ واضفى هتلر سيد المانيا المطلق ومن ورائه حزب زاخر قوامه اليوم خمسة ملايين .

محمد عبدالله عنان

يلعب

(١) صدر الحكم اخيراً (٢٣ ديسمبر ١٩٣٣) في قضية حريق الريخستاج التي كانت تنظر منذ اشهر لادام محكمة (يوزج العليا بيرة) الزعيم الشيوعى تيدجمر وباقي الشيوعيين المتهمين ولم يحكم فيها الا على شيوعى مولدى مغبول هو فان درلوب وبذلك لم يثبت ان الجريمة كانت من تدبير الحزب الشيوعى الالمانى

سَلْمُ خُضَيْرٍ

١٠٥٧



١٠٥٧

برليشة ذهب عيكار ١٤
مضمون ٣ سنوات

لستعمله انكوكومان لشرفية
مكتبه ومطبعة خضير بناسع عبيد العزيز بصر